مسعود محمد يحدد مفهوم المعاصرة كله

الباحث العراقي الكردي البارز الاستاذ مسعود محمد .. شخصية وطنية معروفة وخلال اكثر من ثلاثة عقود من الزمن كان لمسعود محمد حضوره على اكثر من مستوى ..

ولعله من الندرة بين اصحاب القلم الذين كتبوا فابدعوا بالعربية والكردية ..

قد نختلف مع مسعود محمد .. وقد نتفق ، ولكن في الحالتين نعرف انه يصدر عن موقف سليم ونية صادقة .. وباعتزاز ننشر هذا الحوار الفكري مع الاستاذ مسعود محمد ..

على غير انتظار مني احدثت كتاباتي في الساحة الكردية حركة فكرية عميقة في مراجعة المسلمات التي تأصلت بكثرة الترديد منذ اواخر الحرب الثانية وجلها مسلمات المادية الجدلية . واصررت على محورين اساسيين من بين محاور كثيرة في تثمين (الاجتماع ـ بما فيه التاريخ) تمسكت بالبشر كسبب اوحد في نشوء التطور التاريخي عن سبيل ملاحظة انعدام هذا التطور في غير دنيا البشر رغم وجود الطبيعة في موطىء قدم كل الاحياء . وتمسكت بحرية الاختيار كأكبر دليل على كرامة الانسان :

فالبشر هو التأريخ كله .

وحرية الاختيار منبت مضمون الانسانية .

بعد هذين الاساسين يكون التوصل الى تعليل الاخفاقات والنجاحات والفضائل والرذائل وكل ظاهرة فردية او عامة في دنيا الاجتماع امراً في غاية السهولة فالبشر بصفاته وخلائقه ومزاياه العالية والهابطة يفسر كل ما هو موجود وما سيوجد مستقبلاً من حيثيات الاجتماع .

وقولة (البشر) يقصد بها المزايا التي تبعد الانسان عن حكم مطلق الغرائز التي لا تعمل الى القوة المدركة التي تعقل فتصيب او تخطىء .

وفيما يخص مقام كتاباتي في الساحة العربية فاني المس من حفاوة المثقفين الكبار بها وتتويمهم الكريم لها مقدارا من العناية هو بلا ادنى شك فوق المألوف .

س : اي منبع يحدد طبيعة مقالاتك ، وعلى اية اسس يقوم هذا المنبع ؟ ..

ج : طبيعة مقالاتي يحددها اقتناعي بصواب ما انتهيت اليه من آراء في مواضيعها . ومنهجي العام في الكتابة ايصال ما اراه صحيحاً في كل موضوع اطرقه الى الناس باسلوب لا اسفاف فيه صياغة واداء . وحين اطبق منهجي هذا في موضوع معين اميل الى استيفائه بتفاصيله بان اسوق براهيني في اثبات ما هو صحيح وشرح الخلل او النقص او الخطل او التمويه في الرأي المعاكس وتناول المسايل المنصبة في جملة الموضوع تاييدا وتفنيدا على قدر تيسر الفرصة . وما اظنني كتبت مقالة لم تختمر وتنضج في وجداني . ولكوني اخاطب عقول خاصة الخاصة فان الانصباب الى مطالع الموضوع في توقعي لعمق النظر عند قارئي . والارتفاع الى الافاق التي هي مظلة الاستشراف عند قسم الفكر المخصوصة بخطابي يفتح وعيي ، في كثير من الحالات ، على حقائق خفيت على النظر بمثل خفاء لعبة كامنة بين قطع الشطرنج رغم انها لم تحاول التسربل بالاستار وللتمثيل على ذلك اقول اني وجدت بعد طول الانشغال ان ما اشتهر على انه (تفسير مادي للتاريخ) ما هو في الحقيقة الا (تفسير عضلي) باعتماده الكلي على (العمل) المنحل واستبعاده الكلي للابداع في ترتيب المراحل التاريخية وكفى لذلك برهاناً انه اهمل ظهور الكتابة والعلوم كمراحل حاسمة في التاريخ .. على حين اعتبر (الشيوعية البدائية) اولى المراحل رغم انها طريقة شائعة بين الانسان وكثير من البهائم في الصيد والاقتيات .

س : ما هي المكونات الرئيسة التي قام عليها اسلوبك في الكتابة .. ؟

ج : اسلوبي نابع من ذاتي كما ينبع الماء من مصدره فلقد تحقق لي :

المحسنات اللفظية طلباً لزيادة الوشي . واختلفت الحال او تطورت مع تطور الافكار والانماط الثقافية ووضوح الاحساس بوجوب التميز وتنامي النزوع الى تعميق البصمة الذاتية فمال الشعر الكردي الى النظم الحر وقل الاعتناء بالعروض وتزاجعت الجماليات التاريخية الموروثة امام زخم الميل لتاكيد الطابع الذاتي وكان لشيوع الثقافة العصرية دوره الكبير في القفزة النوعية التي رسمت خطا فاصلاً بين الشعر الكردي القديم والحديث في الشكل والمضمون وتقدمت الكتابة الادبية اشواطاً كثيرة منذ اوائل هذا القرن واصبح الادب المنثور في القصة والمسرحية والمقالة والكتاب وبقية فروع الكتابة اظهر اثراً واكبر مقداراً من الشعر وغالبها يساير روح العصر مع الاستعانة بالتراث كمادة تساعد على تكملة الاطار او موضوعة تبحث وتحلل مثل سائر المواضيع . والمجال يضيق دون التوسع في تاثر الفولكلور الكردي بالعربية ثقافة وعقيدة .

س : وانت باي ادب تتجلى الكردي ام العربي ؟ لماذا ؟

ج : بعد حذف او تجاوز توشية كتابتي بالتجلي اقول اني في نظر نفسي واحد في اللغتين شريطة ان تكون اهبتي فيهما واحدة ولكن غالبية قرائي يرون ان كتابتي في العربية اقوى وهم القراء الكرد الذين يفقهون اللغتين . وسبب ذلك شيء تفلته ملاحظتهم فالعربية الفصحى في ادنى صورها وبلا اية صناعة ترن في الاسماع وتتراءى للعيون على جانب من الخطورة والجزالة لان الاعراب يكسبها متانة زائدة ولان صياغة الكلمات المشتقة فيها جمال ذاتي فالاستئصال اوقع من قولك : (اخراج اصل الشيء) في الكردية بالاضافة الى ان العربية اغنى في مفرداتها . لقد قال شوقي وابدع :

٢ ـ فزاع داخلي طويل الامد في تخير الشعيرات الجذرية التي ترشح الحقيقة الخالصة بمثل ما تصفو المسايل في باطن الارض وهي تتحاول التسرب الى العلن في الجدول بصفاء تام .

٣ ـ نمو الشكل والمضمون معا متعادلين في دخيلتي حتى اني في احوال كثيرة ابدو منقاداً لسليقتي فيما تمليه من عبارات تامة التكوين بلا تدخل من وعيي كالماء في انقياده الى الطبيعة وهو يسيل الى المنبع .

٤ ـ ايماني بما اكتب هو امتداد لايماني بحقي في بيان الراي فانا لا اقضي وقتاً في التدرب على الشجاعة الادبية وصولا الى مجاوزة التردد فليس لمخاض كتاباتي عسر ولادة قد يلفظ المولود بنصف روح .

اقول هذا وانا شاعر بمدى غرابته فيما لو قلته في مناخ كامل الحضارة حيث تكون المواليد هينة لينة رخية بلا لهاث ولا الم .

س : في مجتمعات العالم الثالث ايهما اكثر اهمية في بناء قواعد النهضة : الشعر ام الفكر .. ؟

ج : العالم الثالث باشد الحاجة الى وعي ذاته وواقعه والحقائق المعينة له على توفير المعيشة . ودع «النهضة» لبعض الوقت وقد يطول ويطول .. العالم الثالث دائب في هدم نفسه بانتطرف والعاطفية والشعارات الجوفاء وابتعاث المعارك والمواقف العنترية المدمرة فليس في الوجود شيء يوازي في خطورته عامل (الفكر) المتزن معينا له على تلمس السبيل السوى فان خطاه لم تزل تتعثر بالمهالك في وعر الطريق .

ولا اعدو الصواب حين اقول ان عراقنا كان يوفر على نفسه كثيرا من المتاعب لو انه قلل من الشعر المثير والشعار المستفز بعد ثورة ١٩٥٨ .

عوامل الحفز والتحميس والاثارة تفيد حصراً وقت المجابهات المصيرية ومن اثقل البلاء ان تدوم اوقات كبنده في حياة الشعوب ولا فرق في نظري من حيث قوة التدمير بين (الثورة الدائمة) و(المناحة الدائمة) ان لم تكن المناحة اخف وطاة .

س : هل هناك فكر كردي ؟ ما هي سماته الحضارية ؟

ج : احيلك اولا على شيء ورد في كتابي (اعادة التوازن الى ميزان مختل) في صدد وصف المحبطات المثبطات في البيئة الكردية نتيجة تبعيتها لغيرها لاكثر من الفين وخمسمائة سنة فقلت في معرض اصرار المثقف الكردي على النظر الى الاشياء من خلال عقول غيره : (انه يتعذر ان يكون للكردي ريادة وقيادة في الفكر والفلسفة ويكون مقلدا فيهما بحكم طبيعة الاشياء . ثم وجدت لتبعيته الفكرية عذراً آخر حين بينت انه بافتراض ان باقي العجزة بكري رائد قائد مخترع مبتدع في شؤون الفكر وميادين الفلسفة والتاريخ والاجتماع فنظر في كل الامور المتعلقة بشخصه بنظر كردي اصيل خالص الاصالة ووجد بعبقريته جوابا لكل سؤال وشخص دواء لكل داء فانه سيبقى مع ذلك مشلول العبقرية والريادة والقيادة لانه لا يملك صيدلية كردية تخلط الادوية على مقتضى العلل الكردية ..) والفكر لا يتحدد في شعب من الشعوب بصيغة واحدة الا في ميدان السياسة سواء كانت سياسة دنيوية او حكومة دينية تفرض فلسفتها على واقعها الواقع فهل هناك فكر مصري مثلا ؟ يوجد مفكرون مصريون ومن بلدان اخرى يتناسب عددهم مع مستوى الحضارة فيها ومع عدد السكان الى حد ما متوزعين في كل اتجاه من ديني متشدد الوجوه ولا ديني متفاوت الشكول وفكر في الفلسفة واخر في التاريخ وثالث في معارف اخرى وما شذ الكرد عن ذلك في الجملة . وعلى قدر اتصال السؤال بشخصي فقد هياتني تربيتي وبيئتي وطبيعتي والحوار الداخلي المركز على مدى عشرات السنين للوصول الى ضروب من تعليل الاحداث والعقائد والمواقف تفردت بها وساعدتني الثقة بالذات وتجاوز الحذر المبالغ فيه على نشرها واشتهاري بها بين الناس الذين يقرأونني او يسمعونني على صورة من الصور .

س : اي الروابط تربط الادب العربي بالادب الكردي عبر التاريخ ؟

ج : اظن المقصود هو ربط الادب الكردي بالادب العربي فانه منذ ان انتشر الاسلام بين ربوع الكرد كان للعربية . ديناً وثقافة . نفوذها الى واعية علمائهم وادبائهم اولا وعامة الناس ثانياً . والادب الكردي في قديمه غير مزدحم بالاثر والشر لانكباب متطلميهم على علوم الدين والمعارف العامة المثيرة المعتنى بها في المدارس الدينية التي كانت تقوم مقام الجامعات حتى انهم لم يدونوا في غير الكردية ايضا الا ما ندر وما ظهرت لهم كتب نثر مختصة بالادب فكل تاليفهم كانت في مواد الدراسة المساجدية . وشاع النظم بالكردية حسب بحور العروض من نحو قرنين فكان اثر العقيدة وعلوم المساجد واضحة فيه وتسربت اليه

سلوا كؤوس الطلا هل لامست فاها
واستخبروا الراح هل مست ثناياها

فالشطران واحد ولكنهما بجزالتهما وجرس الفاظهما وفخامة سبكهما يقعان في النفس موقعا جليلا وما اظن ان لغة اخرى يسهل فيها الابداع الشكلي حتى يفيض على المضمون كما جرى في هذا البيت وغيره من الابيات ومن اشهرها استهلال قصيدة ابن زيدون : اضحى التنائي ..

اما غنى العربية في مفرداتها فاني يتاتى لي ان اعادله في الكردية باستعمال تعابير دقيقة تجرى على الالسن ولم ينهض مانع من ورودها في الكتابة الادبية على حين ابتعدت الفصحى من استعمالات مماثلة تجرى في السن العامة على غاية الدقة والاصابة ولو اصغت السمع الى اثنتين من المسنات في دردشاتهما المترسلة لسمعت كثيرا من تعابيرهما يفوق في قوة بيانه قوة التعبير في الهوسة المشهورة : « يا حوم اتبع لو جربنا » . وتجشمت ترجمة بعض من تعابيري في الكردية الى العربية فاستعصت عليّ حتى تمثلت المضمون وعبرت عنه بالعربية مستانفاً . وللناس فيما يعشقون مذاهب على اي حال .

س : هل هناك ضرورة بان تكتب باسلوب اللغتين ، العربية والكردية ؟

ج : ما دامت هناك ضرورة للكتابة باللغتين فلا بد من اتباع الاسلوب الاشكل بكل لغة ولقد قلت منذ سنين ان الشكل هو نمو المضمون الى الخارج . اننا نجد في ايامنا ان ضرورة الاسلوب المتميز قد فرضت نفسها حتى وجدنا لكل حرفة اسلوباً فتعددت الاساليب في اللغة الواحدة وتنوعت بحسب مزاج الكاتب او استلطافه او مقتضى المناسبة فالغة ترجمان واعية البشر في احواله المختلفة ومواقفه المتباينة وهي قبل ذلك وعاء الحضارة بكل ابعادها . فليس يصح في اللغة الواحدة ان يكون اسلوب التعبير عن الحب والحنان باسلوب الدعوة الى الحرب او رد القادح . وبسبب من اختلاف المنبت والمنزع والتصور من قوم الى قوم تشتد الصعوبة حتى تبلغ حد التعذر في نقل تراث اصيل مختص من بلد الى بلد فالناس في الامم المختلفة لا تلتقي الا في الافكار العامة وتكاد تكون خصوصيات اي شعب من الشعوب في كل مناحي حياتها منفورة من شعب آخر تناصل استئناسه بما يخالف تلك الخصوصيات فالملبوس والمأكول والمسموع والتصرف في مجمله للغريب مستغرب وغير مرحب به وما اقدح خطا من يردد بحسن نية ان تراث البشرية ملك مشاع وهو يقصد انه صادر من ضمير واحد او ضمائر متقاربة .. صحيح ان وسائل تقريب المسافات واختزال الفروق في الثقافات عودت الناس بعضهم ببعض ولكنها لما تزل في اول الطريق ولم تستطع حتى الان ان تقرب الى ذوق الفتاة المراهقة العربية قولة امرىء القيس : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل فكيف بالمراهقة التركمانية او المغولية ! ليس من المصلحة استعجال الشيء قبل اوانه .

س : كيف تدخل الحياة الثقافية العراقية في هذه المرحلة ؟

ج : دخولي فيها كدخولي في الحياة نفسها وهي تمارس من قبل الملايين على كل الاصعدة فبعضها رائع وبعضها مردود وبعضها منفور وبعضها على اشد ما يكون من النظاعة .

ما كان من الثقافة تزلفا وسبيلا الى النعمى الرخية لناخة في ضمير صاحبه وسم زعاف في معدة الجماهير .

وما كان منها هامشياً هو فقاعة على السطوح تنفجر الى لا شيء في هنيهات وما كان منها وسطا اتجاوزه حتى لا اهبط الا اذا كان فيه شيء جديد في اي حقل من الحقول وتكن نكتة غير مسموعة سابقاً .

وقرات آخر كتاب للاستاذ حسين جميل بشغف واكبرت تجرده في تقويمه لرجال الحكم في حقبة ما قبل تموز .

كل كلمة حق تذاع بجراة واخلاص هي درة ترصع حلية الثقافة والحضارة وهي بعد هذا هدية اخلاص ووفاء الى الوطن بل الى المسؤولين في الحكم فانه ليس بعد الحق الا الضلال .

اقول هذا وانا لا اتناول احدا بالقدح في كتاباتي واقف على حد ما اراه حقاً من آرائي فيكون مؤيدا او معارضاً لآراء غيري .

اذا كان المقصود من الدخول في الثقافة هو المشاركة فيها بالانتاج فاني ما اليت جهدا في ان اقدم انظف وانصف زاد املكه غير ملتفت الى المعيقات والوشايات والحكايات وما يتناثر من بعض الاقلام من نفايات ..

س : كيف تصف حالة القارىء في الوطن العربي ازاء النماذج الكتابية المطروحة ؟

ج : زخم الحياة وصعوبة الاحوال وتسارع الاحداث واشتباك العقائد جعل القارىء العربي في مجمله متخلفا عن قارىء ما قبل عشرات السنين لان فرص التخير كانت اوسع وحلبة الاسفاف كانت اضيق : التخير من القارىء والاسفاف من الكاتب . لقد اصبح صلاح القارىء في الاغلب الاعم تابعاً للصدفة وذلك تبعا لصلاح وفساد العقيدة التي ينقاد اليها فقد ندر الندرة كلها ان يحكم القارىء عقله في قبول او رفض ما يلقى اليه لسبق ارتباطه بمنهج محدد . ويطول شرح المحنة الى غير نهاية واصبح علاجها بالتدبير خارج نطاق الامكان فانه اذا صار ذبح الفلسطيني في منفاه لفلسطيني منفى مثله امراً مفروغاً منه ومقبولاً في التعامل السياسي فانه فضلا عن كون ذلك راجعا بالاصل الى الخلاف في الراي فقد كفى بذاته دليلا على استحالة اتفاق الاراء [هي لم تتقارب اصلاً] . ومن السخف الذي يبلغ حد الخرف ان ينتظر الانسان تقارباً في الراي بين اناس استباحوا التذابح . اذا كان كف اليد عن قتل الاخ مستحيلا فان كف اللسان يصبح عاراً وشناراً وخساراً .

لا اجد حتى هذه اللحظة في الافق اوهى نور للفجر الكاذب المبشر بتوهم حصول التقارب في الراي لجماعة من العرب لها كثرة عددية

(نفض غبرة عن جبين الشمس) وكنت قد قرانتها في مهرجان باريس سنة ١٩٨٧ ونشرت في مجلة (الكاتب الكردي) بعد ذلك ولكن بطبعة ركيكة وفصل حشد من كتابات غيرها سيئة العرض والترتيب فوجدت نشرها ضمن هذا الكتاب لعلها تحظى باستفاتة القارىء العربي . وكان سبب الشطب مذكوراً في تقرير الرقيب فكان كالماء الساخن يصب على الراس في قيظ الهاجرة ويا لهفي على المخ والقلب يسلم وليدهما الى حاضنة من مخلفات الغابرين

س : كيف نعرف انك اديب او مفكر ملتزم ؟

ج : سؤالي يعرف صاحبه بجوابه ولكنه يقصد به انارة الآخرين : معرفة هذه الحقيقة لا كاشفة فيها الا الاطلاع على احوالي منذ اول انخراطي في الحياة العامة سنة ١٩٥٣ حين صرت نائبا في البرلمان فتكلمت وكتبت ووقفت مواقف .. ولئن كانت العصمة من الخطا والنقص تنأى عن خلائق البشر فقد كفاني سببا للرضا عن الذات ان معاييبي سهلة التعداد وليس بينها الالتواء او التحلل من الالتزام فانا مؤمن متمسك برأيي الى حد الايلام وما باعد حاجة ان يتكلف بنصب رقيب علي لن يبلغ مبلغ ذاتي في محاسبة ذاتي في اي شان له صلة بالناس او دلالة على الاستقامة . ان الذين لا يكترثون بالالتواء في العلن هم بنظري ابطال يبلغون في الجراة القبيحة وراء ما يبلغه الاتقياء في الحق . وحين ارى مشعوذا في السياسة رغيرها يتدفق بالكذب المفضوح على الملا احتار في مأتى هذه الجراة المذهلة التي تصرع نوازع الصدق وهواتف الحق في داخله وتغلب فيه الجزع من احتقار الناس له وتتعالى به على احاسيس الافتضاح وسقوط المروة بالنفاق المزيل للكرامة . لعنة الازل والابد على الملتوى الذي لم يكره على الالتواء بما لا يطيق .

س . ما هي انجازاتك الفكرية في حدود الأدب واللغة والسياسة ؟

ج : بصدد التفريق بين الانجاز في الفكر وبين انجاز الفكر في الأدب وغيره لا سيما في خاصة تجربتي لاني نظرت الى الوجود كله كواقع متصل مطرد بلا نهاية يلد ويتوالد فكانت قمة ذلك في الماضي ظهور الحياة حاسمة بين الطبيعة والبايولوجيا ثم ظهور البشر حاسماً بين الوعي وبين الاحساس الغريزي في البايولوجيا .

جاء الوعي أو الفكر أو العقل أو مجموع صفات البشر المميزة له عن البهيمة خطا فاصلاً بين الاجتماع (التاريخ) القابل للتطور المدرك وبين الكينونة الحيوانية المتسمة بالتلقائية الغريزية التي لا مكان فيها للموازنات والمقارنات والمعادلات في استخراج المجهول مع ملاحظة تفاوت الغرائز صعودا وهبوطا في المسافة بين القرود الشبيهة بالانسان وبين ذوات الخلية الواحدة .. في تفصيل لا يحوي المقام .

فالفكر هو حد التاريخ وهو قول يساوي القول بان البشر هو حد التاريخ وليس ما عداه من الموجودات الا اموراواقعة يتفاعل معهاالبشر على مليون صورة جميلة وقبيحة وناجحة وفاشلة وفاضلة ورائلة .. فالادب والسياسة واللغة والخرافات والسلم والحرب والعدل والظلم و ... و .. كلها (بشر) أي كلها (عقل ، ادراك ، وعي) يخطىء ويصيب ، يستقيم ويلتوي .. ومن خلال هذا المنظور كانت انجازاتي واجتهاداتي و (بعض) اكتشافاتي في (البشريات) بما فيها جوانب من علومها التطبيقية نابعة من تحريك (عامل) البشر في الموجودات ولم انصب نفسي قيما عليه ليتحرك على هواي ولم ابتدع قواعد لاطبقها عليه فاسخره لها لذلك رفضت كثيرا من تعليلات النحويين القدماء في تطويع اللغة لقواعدهم ورفضت تعليل التاريخ بالمادة دون البشر ورفضت تسبيب (الظلم) بركم القبح كله في جانب الظالم وترك (المظلوم) كقطع الشطرنج يتحرك على هوى الظالم بلا مسؤولية ورفضت المساواة بين (التناقض) وصور كثيرة لاختلاف المصالح لا تناقض فيها ورفضت دلال الثوري في ظلمه اللاحق بالناس .. رفضت كل التسببات والتعليلات الناقصة أو ذات الاتجاه الواحد لا سيما في السياسة وبالاخص حين تبرر نفسها بالمصالح التي يكون قسم كبير منها

ووضوح رؤيه لتحقيقه المصلحه من شانها رفع الصوت بما يخدم لسماعه من عامة الناس . فاذا حصل هذا المجال بقى ان يتحقق المجال الاصعب وهو حمل المختلفين من الحكام والمحكومين على سلوك طريق السياسة الواقعية البعيدة من التشنج والتطرف والتوعر ورفض الممكن . لقد اختلط في كلامي هذا القارىء والسياسي لانهما في الحقيقة شيء واحد وانكى ما فيه ان الشباب والـ Teenagers الذين هم الغالبية الساحقة في دنيا السياسة والقراءة يرفضون الممكن كشرط اولي في قبول اي حل مقترح ويعتبرون التعقل جبنا والواقعية خيانة .

يبقى مع ذلك دور اصحاب الراي في الاعلان عن نفسه بلا مواربة ان لم يكن لشيء فان السكات عن الحق شيطان اخرس ..

س : من هو الاديب العربي الثوري في المرحلة الراهنة ؟

ج : بديه قبل كل شيء ان يهجر النضال الذي لابس الثورات منذ الثورة الفرنسيه حتى نجد غورباتشوف بعد سبعين سنة من الثورة البلشفية يلغي امتحان التاريخ من مناهج الامتحانات ببلده لكونه ضلالا اضل اجيالا من مواطنيه على قدر ما سمعته من اخبار الاذاعات .

لقد اعتبرت الثورة صورة متقدمة من صور النضال في عهد اوروبي كانت فيه اوروبا غير متقدمة فتجاوزتها اوروبا فانتشرت الاوهام المتطرفة في كل العالم الثالث المتخلف وفعلت به من التدمير اضعاف اضعاف ما كان في طوق العالم الثالث من القدرة على التعمير . وسواء كان في قدرة الكاتب ام لم يكن في قدرته ان يحدث في الاساليب المتطرفة تعديلا يميل بها الى اللين فان واجبه الاول والاجل هو فتح عين الناس على الحقيقة التي لا تقبل الجدل وهي انه لا بديل للديمقراطية الحقة التي لا تاويل فيها . وهي تجريم وتحريم وحظر لكل فكرة او عقيدة تريد الاستئثار بالحكم وحمل الناس على ما يكرهون . ان احترام انسانية الانسان المتمثلة في حريته واختياره هو جوهر كل ادب وعمل وتصرف وموقف وقول ورمز يصدر من الاديب وغيره وليس كالحقيقة ما يخدم النبل والشرف في عمل البشر وليس بالحقائق خفاء فهي معروفة فليقل الادباء ما يرون انه حقيقة . ليقل الاديب المصري ان استعادة سيناء في السبعينات والثمانينات لم تكن ممكنة الا بالاسلوب الذي استعيدت به وان استعادتها ليست مكسبا هينا وعلى الذي يكابر في ذلك ان يقيس (طابا) الى كل سيناء : كيلومتر مربع واحد من الارض مستعصية على مصر فكيف لم تستعص عليها عشرات الالوف من الكيلومترات المربعة بنفطها والمطارات التي كانت مقامة عليها للطيران الاسرائيلي والمستوطنات التي كانت مزدهرة وقد استمات اصحابها غير الشرعيين في الاحتفاظ بها لولا قوة فوق قوة اسرائيل ازاحتهم بالجاروفات كما ازاحت انقاض البيوت وهل استطاعت سورية ان تستعيد الا القنيطرة وهي ثمرة بعض مراحل التسوية التي تسميها سورية بالخيانة ؟

الاديب الثوري هو من يقول لا في مقام لا ويقول نعم في مقام نعم ويسمي الاشياء باسمائها مرتفعا فوق حقارات التمويه العذب .

س : هل تشغلك مسالة الحرية وانت تكتب مقالة .. ؟

ج : حيثما توجد رقابة يوجد الخوف من سيوف الرقيب ورماحه ويوجد قبله الخوف من المؤاخذة على افكار وآراء خلقت الرقابة لمنع اضرارها . على اني دأبت في تناسي دور الرقيب ونصبت نفسي مكانه في الذي ينشر ولا ينشر وبغير ذلك افقد الشهية وينقلب قلمي الى قصب القش .

مشكلتي في مسالة الرقابة وفي الكتابة عموما اني مراقب من ضميري بدقة وبالحاح فكل كلمة اكتبها يشترط فيها صدق النية والابانة ولا يتخايل شبح الرقيب في خلدي الا كما يتخايل شبح قاطع الطريق في خلد صاحب القافلة المضطرة على السفر فهو ياخذ الاهبة ويحتاط للسلامة في المسير لا للتوقف . واظنني وازنت عوامل الخوف والحذر في كتاباتي بامور حاسمة فانا سليم النية لا التواء في قصدي ولا يوجد في الخفاء من يدفعني والتزمت منذ اكثر من ثلث قرن خطا لم يتعرج فحصل الاطمئنان الى نظافة دخيلتي واقدم زادا يليق بالولائم في صحاف نظيفة . ومع ذلك يحصل المحذور فقد حذف الرقيب اربع صفحات من المقالة الوسطى في كتابي الاخير (من هموم الحياة) وعنوان المقالة

٤

مهانة ورفضت مبدأ (الحتمية) في الصور الاجتماعية على الصورة العشوائية البعيدة من الدقة اذ تحكم حكمها بعد وقوع الاشياء فيقول انها حتمية [ما من حرب وقعت الا وكانت لا تقع لو كان الجانب المهزوم يعلم انه سيهزم] . رفضت فخر الكردي بخلو ادبه الموروث من المديح فقد كان ذلك دليلا على الفقر الى الحد الذي لم يترك للمدح سوقا أو داعيا ورفضت ابتهاجه بالتقارب الشديد بين كتابته الادبية وكلامه الدارج فقد كان فقدان اللغة الادبية سببا لفقدان كتابة يفهمها عامة الكرد وهكذا ... ورفضت اعتبار (الكسرة المختلسة) صوتا لغويا مستقلا فهي ليست الا ضرورة صوتية في احوال معينة لا يمكن فيها ربط ساكن بساكن مجاور من غير هذه الكسرة

س : كيف عالجت اطروحة (الانسان) في مقالاتك الفكرية ؟

ج : بعد النزول على حكم الطبيعة في ان الاحياء تعيش على العشب واللحم وبعض مواد الطبيعة الشام (ماء ، ملح ..) والتسليم بتجاوز ما في ذبح الضحية من مسافاة للرحمة [ويا ليت ان ذلك لم يكن] صار الانسان بحكم الضرورة هو المقصود بكل قول او عمل او كتابة او فكر يصدر مني . وبسبب من تربيتي وطبيعتي وطرز تقديري للمصلحة والمهلكة انتهيت الى القناعة بان الانسان الفرد بؤرة المصلحة الحقيقية التي لا تاويل يصرفها الى غير وجهتها فمجموع الافراد هم مجموع الشعوب والامم والاجناس والانواع والطبقات والشرائح فلا منطق ولا عدل ولا مصلحة في تجاهل الفرد بالقفز الى المجموع الذي لا وجود له خارج وجود الافراد فالنظريات التي تدعي الاهتمام بالمجموع تنصب نفسها على وجه الضرورة في مقام الوكيل لكل الافراد وترفع نفسها على وجه الضرورة فوق مدارك كل الافراد ومهما تكن خطورة الافكار والفلسفات فانها لن تبلغ قط مبلغ الرجوع الى كل الافراد لمعرفة رأيهم في الذي يجب والذي لا يجب فتظهر فيه رغبة الاكثرية ويجرى التحري عن انسب الطرق لتحقيقها . والرجوع الى رأي الاكثرية فضلا عن كونه اسلم وسيلة لتقرير ما يجب فهو نفسه باب لتصحيح الخطأ الذي يكتشف في رأي سابق للاكثرية وبذلك ينتفي احتمال اكتساب الآراء والتناقات قدسية دائمة عن اعادة النظر فيها . وبفرض ان اختزال الطبقات حتى يتوحد المجموع في طبقة واحدة مآل حتمي للتطور الاجتماعي فان حصول هذا الاختزال بالتدرج وحسب اقتضاء المصلحة وبرأي من الاكثرية يمنع الكوارث الماحقة الناشئة من تنصيب قلة من الناس انفسهم منفذين لحكم الحتمية التاريخية المزعومة ولقد رأينا كيف ان السويد ديمقراطية بسيادة رأي الاكثرية فيها وكيف ان عدن وكمبوجية اسالت نسبة مئوية مرتفعة من دمائها بنتيجة اجتهاد قلة من المهووسين المغرمين بالعنف والضراوة .

الانسان الفرد لب لباب المجتمع واهماله باية ذريعة كانت هدر لكرامة الانسان ودمه ومصلحته .

س : وصاياك للجيل الادبي الجديد .

ج : وصيتي لكل انسان ان يحتفظ بقدر كبير من استقلال الراي منعا لانجرافه مع التيارات فانه قلما طلب انسان من انسان اخر التخلي عن رايه الا اذا كان يوجهه الى السخف . ومن باب الاحتفاظ بالراي ان يقرأ الاشياء القابلة للمناقشة من زاوية النقد او الامتحان فلا يسارع الى التصديق . فاذا استطاع ان يحافظ على ذاتيته كان توسعه في المعارف والتجارب معينا له على مقاربة الحقيقة في مواضيعه . واقول قولة الواثق من صدق الراي المؤزر بالتجربة ان الذي يتابع رحلة الحياة بعقل منفتح ناج من سبق الالتزام بفكرة محددة سينتهي حتما الى التسليم بان احترام ارادة واختيار (البشر) هو المعبر الوحيد الى الامان والعدالة والسلام فانه من قبيل البديهية المنكشفة لأول التفاتة ان شيوع احترام رأي الآخرين يتضمن ابتداء استبعاد الاكراه والغصب والذبح والتحريق وما في حكم هذه المصائب التي يفعلها البشر بالبشر في ظل التمسك المأفون بوجهة النظر الخاصة والغاء نظر الآخرين . ومن قبيل تحصيل الحاصل ان مبدأ احترام ارادة الآخرين يستبعد الحلول الجذرية الملغية لراي الاكثرية ويستبعد العنف والاستئصال من قاموس البشر . ليس امام طالب مصلحة الانسانية في كرامتها وحقوقها الا سلوك الدرب الذي اوصل الامة الدانيماركية الى ابواب الجنة عن سبيل نبذ التطرف والاكراه وفرض الذات .

اجرى الحوار .. عبد الله الصلاح